

سلامة القلب في القرآن



لغة العرب - وهي لغة القرآن - تقول: سَلَمْ فلان يسْلَامْ سلاماً وسلامة: خلص ونجا وخلا من العوارض والموانع. وفي القرآن:

(وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) (القلم / 43).

أي أصحاء خالون من العوارض والموانع. وتقول هذه اللغة: أسلم فلان، أي انقاد، أو أخلص.

و"سلامة القلب" فضيلة من فضائل الإسلام، وخلق من أخلاق القرآن وجزء من هدي الرسول (ص)، وسلامة القلب هي صفاؤه ونقاؤه، وصحته وقوته، وطهارته وبراءته، والمؤمن الحق من شأنه أن يكون صاحب "قلب سليم". وهو الخالص من دغل الشرك والذنوب. كما أنَّ القلب السليم هو القلب الصحيح، وهو قلب المؤمن، لأنَّ قلب الكافر أو المนาافق مريض، قال تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) (البقرة / 10).

والحديث عن "سلامة القلب" يدعونا إلى الحديث عن "القلب".

إنَّ القلب في عرف رجال التربية والأخلاق لطيفة رباتية روحية، هي حقيقة الإنسان، ولها علاقة بالقلب الحسي المودع في الجانب الأيسر من الصدر، والقلب هو العالم به، والمترتب إلى الله، العامل الساعي إلى الله، المكافف بما عند الله، والجوارح أتباع وخدم، وآلات يستخدمها القلب، ويستعملها استعمال المالك للمملوك، أو الراعي للرعية.

والقلب هو المقبول عند الله إذا سلم الله، ولم يكن محوباً عن الله، وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفليح إذا زakah صاحبه، وهو الذي يحب ويشقى إذا دنسه ودساه، وهو المطبي في الحقيقة، والذي ينتشر على الجوارح من العبادة أنواره. وهو الذي إذا عرفه الإنسان عرف نفسه. وإذا عرف نفسه عرف ربها سبحانه وتعالى.

وإذا سيطر الشيطان على هذا القلب أفسده وأضلها، وأفقده سلامته وطهارته. وللشيطان مداخله الكثيرة إلى هذا القلب لإفساده.

ومعنى هذا أنَّ القلوب معرضة لخواطر ووسوس الشر.

والقلب السالم.. قلب عمر بالتقى، وزكا بالرياضة، وظهر عن خبائث الأخلاق، تتحرك فيه خواطر الخير من خزائن الغيب وفضل الرب، فينصرف عقل الإنسان إلى التفكير فيما خطر له، فيعرف دقائق الخير، ويطلع على أسرار فوائده، فيدرك أزْهَرَ لابدَّ من فعله، فيستحبه عليه، ويدعوه إلى العمل به.

ويشير الرسول (ص) إلى أنَّ الإنسان مفطور على الخير والاستقامة والسلامة، ولكن عوامل الانحراف والاعتساف هي التي تخرج به عن المراطِذات اليمين أو ذات الشمال، فيقول (ص): "كُلْ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يمحسنونه أو يهودانه أو ينصرانه".

وكان رسول الله (ص) يلتفt الأ بصار والبصائر إلى المرتبة العالية التي احتلتها فضيلة سلامه سلامة القلب، فهو يتوجه إلى ربِّه مصدر العطاء يسأله هذه السلامة، فيقول: "وأَسْأَلُكَ قلباً سليماً ولساناً صادقاً". ويقول: "اللَّهُمَّ نَقِّ قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس".